

هل يمكنك أن تخبرينا قليلاً عن نفسك، على الصعيدين الشخصي والمهني؟

أنا زينة، أعمل منذ أكثر من 10 سنوات في المجال الإنساني والتربوي مع الأطفال ومقدمي الرعاية المتأثرين بالأزمات، مع تركيز خاص على التعليم والدعم النفسي-الاجتماعي. أوّمن بأن الأطفال، حتى في أصعب الظروف، يمتلكون قدرة كبيرة على متابعة التعلم والنمو إذا توفرت لهم بيئة داعمة وآمنة.

حالياً، أعمل مع منظمة أطفال الحرب (War Child) في لبنان، حيث أشارك في دعم البرامج التعليمية والأنشطة التي تساعد الأطفال على التعلم ضمن بيئة آمنة وممكنة.

على الصعيد الشخصي، أنا أم لابنة في الثامنة من عمرها، بطبيعتي قريبة من الأطفال وأؤمن بأهمية الاستماع إليهم وفهم مشاعرهم/ن، لأن شعور الطفل بأنه مسموع ومفهوم ينعكس مباشرة على سلوكه وتفاعله وقدرته على التعلم والنمو.

كيف توازنين بين الحفاظ على سلامتك الشخصية وبين دعم الأطفال والعائلات في ظلّ النزاع؟

أعتقد أنّ تحقيق هذا التوازن أمر أساسي للاستمرار في عملنا. فنحن نسعى دائماً لأن نكون حاضرات لدعم الأطفال والعائلات، لكن في الوقت نفسه من المهم أن نكون واعين لسلامتنا الشخصية. لذلك أحرص على الالتزام بإجراءات السلامة المعتمدة في المنظمة، وأحاول دائماً تقييم الوضع والتواصل مع فريق الأمن ومديرتي المباشرة قبل القيام بأي نشاط.

بالنسبة لي، الاستجابة المسؤولة تعني أن نبقي ملتزمات بدعم الناس والوقوف إلى جانبهم مع الحفاظ على أنفسنا، لأن قدرتنا على الاستمرار في هذا العمل مرتبطة بقدرتنا على حماية أنفسنا والعمل ضمن بيئة آمنة.

كيف تتعاملين مع التوتر والخطر وحالة عدم اليقين الناتجة عن العيش في منطقة متأثرة بالنزاع والاستجابة له في الوقت نفسه؟

التعامل مع التوتر والخطر وحالة عدم اليقين الناتجة عن العيش والعمل في منطقة متأثرة بالنزاع ليس بالأمر السهل، إلا أنّ وجودي ضمن فريق عمل داعم ومتفهم يشكّل عنصراً أساسياً في مواجهة تلك التحديات. فالمساحة التي يوقّرها الفريق عبر التواصل المنتظم، إلى جانب الاجتماعات المخصّصة لمتابعة ودعم صحّة الموظفين النفسية، تساعد في الحفاظ على مرونتي وقدرتي على الاستمرار في أداء عملي بفعالية.

إلى جانب ذلك، أحاول اعتماد بعض الممارسات البسيطة التي تساعدني على الحفاظ على توازني الشخصي والتخفيف من التوتر، مثل ممارسة الرياضة، أو الكتابة، أو مشاهدة فيلم، وغيرها من الأنشطة التي تساهم في استعادة الهدوء والتركيز.

كما أن الأطفال أنفسهم وبمن فيهم ابنتي ذات الثماني سنوات يشكّلون مصدراً مهماً للأمل والدافع للاستمرار؛ فمشاهدة قدرتهم/ن على التكيف والاستمرار في اللعب والتعلّم رغم صعوبة الظروف تذكّرنا دائماً بهدفنا ودورنا وبأهمية ما نقوم به.

كيف يؤثر العيش في منطقة متأثرة بالنزاع على الطريقة التي تتعاملين بها مع عمك؟

إنّ تواجدي في منطقة متأثرة بالنزاع ينعكس بشكل مباشر على الطريقة التي أتعامل بها مع عملي. فكوني أعيش في السياق نفسه الذي يعيشه الأطفال وعائلاتهم، فإنّ ذلك يجعلني أكثر وعياً بالتحديات اليومية التي قد تُواجههم/ن، ويمنحني فهماً أعمق لواقعهم واحتياجاتهم.

هذا القرب من تجربتهم/ن يساعدني على العمل بقدر أكبر من المرونة والحساسية للسياق، وعلى إدراك أنّ حاجات الأفراد بمن فيهم الأطفال لا تقتصر على الجانب الأكاديمي فحسب، بل تمتد لتشمل الجوانب النفسية والاجتماعية أيضاً.

لذلك أسعى من خلال عملي إلى تأمين بيئة آمنة وداعمة يشعر فيها الأطفال وعائلاتهم بالراحة والاحتواء، إذ إنّ الشعور بالأمان والطمأنينة ينعكس على الطفل من الانخراط في عملية التعلّم والاستفادة منها بشكل فعال.

ما أبرز التحديات التي تواجهك في تقديم الدعم التعليمي للأطفال بينما يستمر النزاع في لبنان؟

إذا عدنا إلى نظرية Abraham Maslow حول هرم الحاجات، يتبين أن تلبية الاحتياجات الأساسية للإنسان تشكّل شرطاً أساسياً قبل الانتقال إلى مستويات أعلى مثل التعلّم واكتساب المهارات. لذلك، في سياق النزاع المستمر في لبنان، يُعدّ غياب الاستقرار من أبرز التحديات التي تُواجهنا خلال تقديم الدعم التعليمي للأطفال.

فالعديد من الأطفال يعيشون تحت ضغط نفسي وقلق دائمين نتيجة الظروف المحيطة بهم/ن، ما يؤثر بشكل مباشر على تركيزهم وقدرتهم على التعلّم. كما أنّ تدهور الأوضاع الاقتصادية وتكرار حالات النزوح لدى بعض العائلات ينعكسان سلبيًا على استمرارية التعليم وجودته.

انطلاقًا من ذلك، نحاول قدر الإمكان اعتماد أنشطة تعليمية نشطة وتفاعلية تساعد الأطفال على الانخراط في التعلّم بطريقة أكثر إيجابية، مع الحرص في الوقت نفسه على دمج أنشطة الدعم النفسي والاجتماعي ضمن العملية التعليمية، بما يساهم في خلق مساحة آمنة وداعمة تمكّن الأطفال من التعلّم والتعبير عن أنفسهم رغم التحديات المحيطة بهم.

كيف ترين أن عملك يحدث فرقًا حقيقيًا في حياة الأطفال والعائلات الذين يعيشون هذه الأزمة؟

بالنسبة لي، يظهر الأثر الحقيقي لعملنا في التفاصيل الصغيرة التي يمكننا ملاحظتها يوميًا. فعندما يبدأ طفلٌ خجولٌ أو قلقٌ بالمشاركة في الأنشطة، أو عندما نسمع من الأهالي ملاحظاتٍ إيجابيةً عن مدى تفاعل أطفالهم وحماسهم لحضور الصفوف التعليمية، فهذا بالنسبة لي دليلٌ واضحٌ على أننا نحدث فرقًا حقيقيًا.

أو من بأنّ توفير مساحة آمنة يشعر فيها الطفل بالقبول والدعم يمكن أن يكون له أثرًا كبيرًا في حياته، خاصة في ظلّ الظروف الصّعبة التي يعيشها. ففي مثل هذه البيئات، لا يقتصر دورنا على التعلّم فحسب، بل يمتدّ ليشمل دعم الأطفال نفسيًا واجتماعيًا، ودعمهم لاستعادة شعورهم بالأمان والثقة بأنفسهم.

هل يمكنك أن تشاركينا قصة من عملك مؤخرًا بقيت عالقةً معك على المستوى الشخصي؟

بعد مرور سنتين على انقطاع التلاميذ عن التعليم الحضوري خلال جائحة كورونا، كان علينا تنفيذ تقييم تشخيصي لكافة المتعلمين لتحديد مستوياتهم القرائية، بهدف وضع خطط دراسية مناسبة لكل منهم/ن.

أتذكر جيدًا أن دوري لم يقتصر على متابعة تنفيذ التقييمات وجمع البيانات، بل اضطررت أيضًا لدعم المعلمين في إجراء هذه التقييمات بسبب ضيق الوقت.

لفت انتباهي أحد طلاب الصف الثالث في إحدى المدارس البقاعية، إذ خرج إلى الغرفة باكياً وقال: "ما بعرف أقرأ، ولا حتى بعرف الحروف". في تلك اللحظة، كان كل ما قمت به هو التوقف عن إجراء التقييم وطمأنته بأن الهدف من التقييم هو فقط تمكيننا من إعداد أنشطة وقصص وألعاب تعليمية تناسب مستواه، وليس لأخذ العلامات. تلك التجربة بقيت عالقة في ذهني، لأنها تُذكرني بأهمية التواصل مع الأطفال وفهم مشاعرهم/ن أولاً قبل التركيز على الأداء الأكاديمي، وتؤكد لي أنّ الدعم النفسي جزء لا يتجزأ من عملية التعلّم.



تتمتع زينة، بخبرة تمتد لعشر سنوات في مجال تعليم الأطفال. ومنذ تسعة أشهر، تعمل مع منظمة طفل الحرب في لبنان كمساعدة في التعليم.

